ضحايا الشيخ علي الشرقي

— ٢ —

بقلم : محمد حسين المحتصر

كان له خطرات اخرى . في الدين ورجاله ، والحجاب واثره على سلوك المرأة ، والسياسة وفهمها الدى ساسة العراق الابدال ! . وكل هذه الخطرات تدل على تفهم عميق للحياة ورغبة في التحرر من قيودها القاسية الموضوعة .

غير ان الذي يلفت النظر في خطراته هذه ، انه كلما قرر رأيا سرعان مايعود الى نقضه ، والهجوم عليه ، ولعل لبيئته المحافظة ، وتقاليدها الضيقة ، ومكانته كشيخ من شيوخ هذا البلد ، وعلم من اعلامه ، اثرا في تبدل رأيه بين حين وآخر ، وتغير فلسفته من وجهة الى ضدها .

ومن هذا التبدل مانقرأه له من رأي جريء في { المعاد } بعد الموت ، وامكانية صحته ، فبينا نراه يستبعد وقوعه ، ويشك فيه ، يقوله :

كلما فكرت في العقبى اعتراني خفقان
فالى اين ؟ الى اين ؟ اذا آن الاوان
عدما كان وجودي ، وسيغدو عدما .
قد توسطت وجوداً طرفاه عدمان

اذا به يستأنف رأيه ، ويرجح الى الاعتقاد بانه حادث بديهي الوقوع ، ليقضي به الوجدان ، ولا يحتاج الى أي برهان ، ويقول

يقولون بالبرهان آمن معشر وما نفع ايمان يكون ببرهان
فما انا فيما يدرك العقل مؤمن ولكنما من فوق عقلي ايماني
ولما قضى الوجدان بالدين للورى
ظرحت دليلي ، واقتنعت بوجداني

فياجانب البحر الذي اناغارق بلجته ، لابد من جانب ثاني

ولو اني أعرف أي هذين الرأيين اسبق من صاحبه لاستطعت ان افسر على ضوء — الاسبقية — كفر الشيخ او ايمانه ، غير اني احتمل ان الرأي الاخير هو ماعليه الشيخ الان ، وارجو ان يصدق هذا الاحتمال !

***

ومن خطراته المستحبة تلك التي يصف بها دلك النفر المتواكل الذي يفرض نفسه فرضاً على الناس ، ويعيش عالة على ارزاقهم كما تعيش النباتات الطفيلية على فوراع الاشجار ، وروا كد الانهار متناسياً واجبه كانسان يجب ان يسعى ويعمل ، ويتناول رزقه من وراء سعيه وعمله :

تحال ايها الحاطب من حبل ومن فاس
وخذ عن حطب الغابات حزمات من الناس
تلف الهين اللين باليابس والقاسي
فمن شيخ ، لبطريق ومن قس ، لشماس

ويتحدى البعض منهم فيصمه في صميم عقيدته ، ويحسبه لصاً او شيطاناً يترقب الفرص ، ليغرر بالعقول ، ويضحك في سريرته على الذقون :

انظر الى سبحته تعرف ما اقول لك
شيطانه كخيطها بين الثقوب قد سلك
يا ذرة ما بيننا قد ارتقت الى الفلك
ما اسودت السبحة الا لترينا عملك

ويعود في مكان آخر هازئاً ساخراً من الشكليات التي يضيفها هذا النفر على انفسهم ، والمظاهر السمجة التي يتظاهرون بها امام الحياة ، ليقول الناس عنهم ، انهم قوم زاهدون ، عابدون ، لا يريدون عرض الحياة الدنيا !

يا غارس البستان اقلع نخله انا لا احب النخل في البستان
جذع تراه معمماً متخبطاً متهدلا كالبعض من اخواني

ومن يتصفح ديوان الاستاذ الشرقي المخطوط يجد فيه الشيء الكثير من هذا الشعر ، ولولا ضيق المجال لنشرت طرفا اخرى منه .

والذي يجب ان يلحظه القارئ هنا ، ان الشاعر لا يقصد هذا الصنف من الناس على وجه العموم ، فهو لا يجحد وجود جماعة فاضلة مؤمنة ، نذرت نفسها للعلم ، وعاشت من اجله ، كما لا يكتم اكباره بهذه الجماعة الفاضلة الفابعة في زوايا

المدارس والمساجد بينما يصول ويجول باسم الدين ، اصحاب الطيالس الفضفاضة ، والجباه السوداء .

ولعل اظرف خاطرة جاءت في شعره بهذا الصدد قوله :

اسألوا الطور في مناجاة موسى واسألوا الدير في تبتل عيسى
واسألوا مسجد النبي بحق الذكر من صير « الفقيه » رئيسا

* * *

اما رأيه في الحجاب ، فلا يختلف عن رأي بقية المصلحين الذين ينظرون الى الحياة من وراء التقاليد ، والعرف الخاص ويفهمون جوهر الدين فهما مجرداً عما لحقه من سخافات المشعوذين .

معاني الورد ما اتضحت بلفظه كما في صوت عود او رباب
وهذا الورد في الاكمام باق فكيف يحل مشكلة الحجاب

* * *

قد صغينا الى غناء وليد لفتاة ، من شق باب تطالع
اطيور اقفاصها من حديد ؟! وطيور اقفاصها من براقع ؟!

* * *

ضاع النسيم وانما مفتاح قلبي الضائع
قومي ترى ادباؤهم ان العفاف براقع
كم مجلس يدعو لتفريق ويدعى جامع
الله صانع هذه الدنيا ، فما انا صانع !

* * *

وللسياسة حصة كبيرة من شعر الاستاذ الشرقي ، لولا انها سياسة عهد عصفت به الريح ، وذهب في طيات التأريخ وهذا اللون من شعره اقرب الان الى عرض تأريخي منه الى آراء سياسية منتزعة من حياة الشعب الذي عاش معه الشاعر .

خمس وعشرون صليباً لنا اذا النصارى افتخرت في صليب
اعوادهم منابر للثنا تناوشوهن خطيباً خطيب

غير ان له وصفاً رائعاً لحياة الطلائع الاولى من ساسة العراق لا يزال مصداقه يتمشى مع الزمن ، لوجود بعض اولائك الساسة حتى الان ، ولظهور فئة جديدة تترسم خطاهم وتسير على النهج الذي نهجوه ،

يابلاداً تجهمت يظلام المصابيح فيك ملأى بزيت
انني هامس باذنيك قد كنت ولكن اريد ارفع صوتي
رؤساني ولا ترى العين الا جسم حي وفوقه رأس ميت
قد شببتم اطراف بيتي ناراً ، وادعيتم بذاك تنوير بيتي

* * *

ارى في القطر اعيانا ولكن ارى الاعيان اطفالا صغارا
لقد قرت مقاعدهم فقل لي بربك هل رأيت لهم قراراً
تماسك في مواقدنا رماد بشكل الجمر لم أر فيه نارا
أبا لاسنان تنتخبون عينا ؟! كقوم يشترون لهم حمارا

وقبل ان اختم هذا الحديث عن الاستاذ الشرقي اود ان اشير الى اتجاهات وخواطر خاطفة مرت في حياته مرور السحاب في يوم من ايام الصيف فلم تترك اثراً في الارض ولا في السماء ، ومن اهم تلك الخواطر ، ما جاء في قصيدته [عاصفة] التي نظمها ونشرها بعيد معركة « ستالينغراد » والتي يصف بها بسالة الجيوش الروسية ، ويشيد بنظام الحكم في بلادهم يوم كان الروس اصدقاء للحلفاء ولا يخشى من عاقبة مثل هذا القول كما يخشى منه الان :

ونظام للبرايا جامع لشعوب وبطون وأسر
وقفت في جنبه حارسة دولة كل نواحيها غرر
دولة يشترك الكل بها ماهما مملكة بل مؤتمر
اتحاد واخاء شامل وتساوى بين انثى وذكر
وحدة تأبى المقاييس اذا كان للوحدة طول وقصر

وقد يكون من بين تلك الخواطر التي مرت بحياته مرور السحاب ما يطمئن به الفقراء ، والجماهير الكادحة من الناس بان طلائع آمالهم قد بانت ، وحان حين القضاء على الطبقية والاقطاعية والاستغلال .

يا اهل اقراص الشعير تحملوا غثا يصارعكم على الاقراص
سيجيء دوركم على الباغي الذي .

يرجو المناص ولات حين مناص

هذي القصور من الخصاص تشيدت ولعلها مهدومة بخصاص
وبلية الاحرار ان يتحملوا لرعونة الدنيا اطاعة عاصي

يتبع

محمد حسين المحتصر